مطوية الشهر 15

الصادق المصدوق

صلى الله عليه وسلم

إعداد

أبو الفداء

توفيق عبده نعمان قاسم الزيدي

كرسي المهندس عبد المحسن بن محمد المدريس

للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

جامعة الملك سعود

الصادق المصدوق ﷺ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الصادقين وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

- فلقد مدح الله أنبيائه بالصدق في كتابه فقال عزَّ من قائل (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا)، وقال تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)، وكان على رأس هؤلاء الأنبياء محمد ﷺ، عرف بالصدق منذ نعومة أظفاره ولم يعرف عنه أنه كذب قط حتى سمي بـ -الصادق الأمين - نعم صعد يومًا على الصفا يقول لقومه يا بني عبد المطلب يا بني فهر يابني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم ما جربنا عليك كذبًا قط.

- وفي حديث هرقل أنه سأل أبا سفيان : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

فقال: لا، ما جربنا عليه كذبًا.

قال هرقل : فقد علمت أنه لم يكن ليدَّع الكذب على الناس ، ثم يذهب فيكذب على الله وقد صدق هرقل !

- أخي لقد كان رسول الله مثالاً قدوة في صفة الصدق؛ فقَبْل بعثته لُقِّب من قِبَل قريش بالصادق الأمين ؛ فقد كانوا يستودعون رسول الله ﷺ حوائجهم، ويأتمنونه على أشيائهم وأسرارهم، وحينما بُعِث رسول الله ﷺ وأظهر له

بنو جلدته وعشيرته العداوة والبغض والكره والحرب؛ ظلَّ رسول الله ﷺ على حُسْنِ خُلُقه، وظهر ذلك في ردِّ الأمانات إلى قوم جعلوا أنفسهم أعدى أعدائه.

• كما شهد بصدقه أكثر الناس عداءً له وهو النضر بن الحارث الذي قام خطيبًا في سادة قريش قائلاً لهم: "يا معشر قريش، إنه والله قد نَزَلَ بكم أمرٌ ما أَتَيْتُم له بحيلة بَعْدُ، قد كان محمدٌ فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيْهِ الشيب وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر. لا والله ما هو بساحر؛ لقد رأينا السَّحَرَة ونَفْثَهُم وعقدهم، وقلتم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وتَخَالُجَهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر. لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها؛ هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون. لا والله ما هو بمجنون... فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ"

• وأكبر من هذا كله شهادة رب العالمين على صدقه فقال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، والذي جاء بالصدق هو نبينا محمد ﷺ، والذي شهد لما جاء به هو الله في قرآنه المنزَّل من فوق سبع سماوات، ويقول ابن عاشور معلقًا على هذه الآية: "الذي جاء بالصدق هو محمد رسول الله ﷺ، والصدق هو القرآن".

حث رسول الله ﷺ على الصدق:

- كان رسول الله ﷺ دائمًا ما يحثُّ المسلمين على الصدق في أقوالهم وأفعالهم فيقول ﷺ : "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا ".
- بل ويُوَجِّه رسول الله ﷺ خطابه للمسلين قائلاً لهم: "اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ؛ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ"
- ومن عظمة رسول الله ﷺ التربوية ما تركه في نفوس أحفاده والمسلمين من حُبِّ الصدق، وأكبر دليل على ذلك ما رواه أبو الحوراء السعدي حيث قال: قلتُ للحسن بن علي رضي الله عنهما : ما حفظت من رسول الله ﷺ ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ"دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ"

صدق رسول الله ﷺ في المزاح:

- لقد كان رسول الله ﷺ مُتَّصِفًا بهذه الصفة في كل أفعاله وأقواله؛ حتى في وقت المرح والفكاهة التي يظنُّ

البعض أن الكذب فيها مباح، فعن أنس بن مالك أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ : "إنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ". قال: يا رسول الله، ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : "وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ؟!" فكانت هذه الفكاهة من النبي ﷺ مع رجل من عامَّة المسلمين من باب المداعبة وزيادة المحبة، ولكنه ﷺ لم يستعمل فيها إلا الصدق.

صدق رسول الله ﷺ في الحرب:

- وكذلك كان حال رسول الله ﷺ في وقت الحرب، الذي أجاز فيها النبي ﷺ الكذب على الأعداء اتِّقاء لشرِّهم ودفعًا لضررهم ولكن رسول الله ﷺ لم يقل أيضًا إلاَّ صدقًا، ولننظر إلى موقفه قُبيل غزوة بدر، التي خرجت فيها قريش لتستأصل المسلمين، فخرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق ليتعرَّفَا أخبار قريش فوقفا على شيخ من العرب، فسأله رسول الله ﷺ عن قريش، وعن محمدٍ وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ : "إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ". قال: أذاك بذاك؟ قال: "نَعَمْ". قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا المكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -المكان الذي فيه قريشٌ- فلمَّا فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ : "نَحْنُ مِنْ مَاءٍ". ثم انصرف عنه، قال يقول الشيخ: ما من ماءٍ؛ أمن ماء العراق؟

كارليل يشهد بصدق الرسول ﷺ

- هكذا كانت حياته ﷺ حياة يملؤها الصدق في كل شيء، وهذا ما دعا كارليل إلى أن يقول: "... **هل رأيتم قط أن رجلاً كاذبًا يستطيع أن يوجد دِينًا عجبًا؟** إنه لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجصِّ والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي يبنيه ببيت؛ وإنما هو تلٌّ من الأنقاض وكثيب من أخلاط الموادِّ، وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن، وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته. كذبٌ ما يذيعه أولئك الكفار، وإن زخرفوه حتى تخيَّلُوه حقًّا... ومحنةٌ أن ينخدع الناسُ شعوبًا وأممًا بهذه الأضاليل..."

نعم والحق ماشهدت به الأعداء

، إنه **[القدوة]** الصادق في طفولته وشبابه وشيخوخته الصادق في مزاحه وحربه وحياته كلها فقد قال عن نفسه ﷺ كما في حديث أبي هريرة قال يا رسول **الله** إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقًا.

- خرَّج للأمة جيلاً صادقًا قال **الله** عنهم **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّه عَلَيهِ فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنْتَظِر وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً)** بل كان أفضل رجل فيهم الصديق رضي الله عنه.
- إخواني لقد أمرنا **الله** باتباع الصادقين فقال **(يَأَيُهَا الْذِينَ آمَنُوا اتَقُوا اللّه وَكُونُوا مَعَ الْصَّادِقِينَ).**

فصلاة **الله** على سيد الصادقين محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.